محمد جواد مغنية

النبوة والعقل

دار التيار الجديد
بيروت - لبنان

دار الجواد
بيروت - لبنان

محمد جواد مغنية

النبوة والعقل

دار الجواد

بيروت – لبنان

ص . ب . ١٤/٥٨١٣

الطبعة العاشرة

مقدمة

بسم الله ، وله الحمد ، والصلاة على محمد وآله ، وعلى السابقين الى دعوته ، والعاملين بسنته من يومنا هذا الى يوم الدين .

ان مسألة النبوة التي نتكلم عنها في هذه الصفحات ليست من الموضوعات الحديثة ، ولا من المسائل المعقدة الغامضة ، فقد عرفها الناس منذ عشرات القرون ، وتحدثت عنها كتب الدين والكلام والفلسفة بإسهاب وتعمق ، وآمن بها الوف الملايين في العصر الحاضر والغابر .

ونحن لا نجد شيئاً جديداً نضيفه الى اقوال العلماء الراسخين ، وانما غرضنا الوحيد ان نوضّح ونبسط آراءهم للشباب ، لعلهم يقرأونها فيما يقرأون من هذه الكتب الحديثة التي تزخر بها المكتبات ، والتي صرفتهم

عن كل قديم ، حتى ولو كان دواء لا داء بعده ، وهدى لا ضلالة فيه .

ظنوا ان الدين حافل بالبُدع والخرافات ، وانه لا عمل لرجال الدين الا ان يسيروا في ركاب الجائرين، ويزينوا لهم البغي والعدوان على المستضعفين، فتنكروا للدين واهله ، ونفروا منه ومنهم .

ونحن لا نريد منهم الا ان يقرأوا كتاب الله وسيرة النبي الكريم ، ثم يحكموا بما يشعرون ، كما يفعل المفكر الرشيد ، ومتى قرأوا وانصفوا يتم الصلح بينهم وبين العلماء الذين ينزهون الاسلام عن الأساطير والأوهام .

وعلى هذا الأساس ألفنا كتاب « الاسلام مع الحياة » ثم فكرنا في وضع سلسلة كتب في « عقيدة الاسلام والعقل » تتألف من اربعة : الله العقل . النبوة والعقل الآخرة والعقل . الامامة والعقل . وقد لاقى الأول ، ولله الحمد ، عناية من القراء شجعتنا على المضي والمبادرة إلى اخراج الثاني

وتشاء الصدف ان يقع في يدنا كتابان، ونحن نبحث ونتتبع المراجع القديمة والحديثة التي تتصل بهذا الموضوع .

وقد وقفت عند الكتابين طويلاً ، لأن احدهما موعظة وذكرى ، والآخر فيه مجن وهوى ، واسم الاول « محمد . الرسالة والرسول » ألفه دكتور مسيحي من اقباط مصر ، درس الأديان وقارن بينها ، ثم انتهى الى الايمان بنبوة محمد وتعاليمه. ويجد القارىء ملخصاً لهذا الكتاب في الفصول الآتية بعنوان « الرسالة والرسول » ، واسم الكتاب الثاني « قشور ولباب » وصاحبه دكتور مصري ، وهو زكي نجيب. محمود ، وقد تعرض فيه لمفهوم الادب والعلم والفلسفة ، وحمل على الميتافيزيقيا ، ونسب كل ما يتصل بما وراء الطبيعة الى الاوهام والأساطير ، وأطال الكلام في الأدلة على دعواه هذه ، ثم انتهى الى النتيجة التالية :

« وما دامت الميتافيزيقيا كلها كلاماً فارغاً على النحو الذي بينّا ، فما نحن صانعون بهذه الاسفار الضخمة التي تراكمت لدينا على مر القرون مما كتبه الميتافيزيقيون ؟ انه لعزيز عليّ وعليك ان تلقى هذه الاسفار ، كما ينبغي لها طعاماً لألسنة النار ، او اثقالاً في قاع البحر ، وإذن فلنبق عليها ، ليقرأها القاريء،

اذا اخذه الحنين الى المـــاضي ، كما يقرأ اساطير الأولين [1] ».

وليس بجديد علينا هذا القول ، فقد الفناه منذ القديم ، وناقشناه في ما نشرنا من مقالات ومؤلفات ، ولكن الجديد الذي لم نعرفه من قبل ، ولم نسمعه من احد هو قول المؤلف في ص ١٥٥ :

« ان فتح النوافذ والأبواب امام المدنية الغربية لم يصادف هوى عند طائفة من الناس ، فبين ظهرانينا فريق كبير جداً كان يتمنى بحكم تربيته ان يكون نهوضنا كله نمواً من الداخل ورجوعـــاً الى الماضي ، فلما رأوا ان تيار الحضارة الغربية العلمية جارف يمس اوضاع الحياة كلها ، لم يروا بدأ من الحركة في اتجاههم ، وهو الجري الى الوراء لاستخراج كنوز المـــاضي ، لعلهم يجابهون بها الغرب الدخيل ، لكنهم لم يقتصروا على مجرد نشر القديم نشراً مزدوجاً بالشرح والتعليق ، بل اضافوا الى ذلك «تعقيل» هذا التراث ما استطاعوا الى ذلك من سبيل ».

---

(١) ص ٢١٩ و ٢٢٠ طبعة ١٩٥٧ .

وهو يريد بقوله هذا رجـــال الدين وغيرهم من قـادة الفكر ، لأنه ضرب مثلا بمفكر وضع كتاباً في الشعر العربي القديم ، وبإمام فسّر القرآن تفسيراً راعى فيه ان تظهر احـكامه للناس متسقة مع العقل العلمي الحديث ».

ولو ان الدكتور زكي درس الاسلام ، واطلـع على احكامه وتعاليمه لاستثنى قادة الدين من قولة: «اضافوا الى ذلك « تعقيل » هذا التراث » ولعلم انهم لم يحاولوا اعطاء الاسلام اية قيمة اجنبية عنه ، وانما كشفوا عن بعض قيمه وخصائصه ، وانهم لم يذكروا من كنوزه واسراره الا القليل .

ان ائمة المسلمين لم يرسموا لتفسير القرآن خططاً من عندهم تتلاءم مع العقـــل الحديث او القديم ، بل ان القرآن هو الذي ارشدهم الى منهج العلم والعقـل ، وامرهم بنبذ الخرافات والأوهام ، ولو ان رجال الدين اتبعوا منهج القرآن في التفسير والتشريع لمـا رأينا في اقوال بعضهم مـا يلام عليه . لذا ترانا نحتج بالقرآن وباسم الدين على من ينحرف عن طريق الفطرة والعقل، ولكن البعض يتجاهل هذه الحقيقة ، ويعكس الآية ،

فيحتج على رجـال الدين اذا تركوا البدع والضلالات ويزعم انهم يتكلفون ويتحملون ! كأن الدين « بصّارة براجة » او تغسيل اموات ، وتلاوة آيات !

قال المستشرق الفرنسي جاستون : « ان القرآن هو منبع الدين العقلي ودستوره ، فقـد احتوى على أسس تستند اليهـا حضارة العالم » . ويقول دكتور مسلم : « لقد اضاف القادة الى تراثنا التعقيل » ، أي أعطوا العقل لما لا يعقل !

ان العلماء الراسخين لم ينفوا عن الدين ما هو منه ، ولم يضيفوا اليه ما خرج عنه . انهم لم يفعلوا شيئاً اكثر من الكشف عن الواقع ، وازاحة الستـار عن جوهر الدين وحقيقته « رأوا من يخطىء فهم الدين ، ويلقي عليه التبعـات ، كما رأوا تحكم القوي بالضعيف ، وشيوع الفسق والفحش ، والاضطراب في الاعمال والاخلاق ، فشعروا بالمسؤولية امام الله والضمير عن معاني الحق والفضيلة ، فبينوها للناس ، ودافعوا عنها ودعوا اليهـا ، ورفعوا اصواتهم مع اصوات المعذبين في كل شعوب العـالم ، وأثاروا في النفوس النزعة الانسانية نحو الخـير ، وربطوا مسائل الدين بصالح

الجماعة ، وبرأوا من كل ما يضير الانسان ، وجعلوه وسيلة للتعاطف والتفاهم ، وطريقاً للعدل والامن والسلام .

وهذا هو ذنبهم عند البعض ! مساكين اهل العلم ، ان سكتوا قيل كسالى مهملون ، وان تكلموا قيل متعصبون متحملون ، ولكن يهون الخطب ان من يقول هذا القول هم شذاذ الاحزاب الذين لا يرضون عن اي انسان وبخاصة عن رجل الدين إلا اذا طبّل لهم وزمّر ، وحرّف لهم كلام الله وسنن الأنبياء والصالحين ، ورمى من لا يشايعهم على الضلال بالزيغ والانحراف . وصدق الله العظيم حيث خاطب نبيّه الكريم بقوله : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى . «البقرة ١٢٠ » . وقد علمتنا الايام والتجارب ان أخوف من يخاف منه المجرم المأجور هو رجل الدين الذي لا يؤثر على عقيدته شيئاً

واذا فسر المتحذلقون اقوال رجال الدين بأنها تمحل وتعصب لدينهم وعقيدتهم ، فبماذا يفسرون قول الدكتور فيليب حتي المسيحي المعاصر ، والمؤرخ

الكبير الذي وصف الاسلام بأنه حضارة عامة شاملة تنتظم كل من يعيش تحت سمائها في حرية وصفاء ، ويعيش غير المسلمين مع المسلمين على قدم المساواة وتربطهم بروابط المحبة والأخوة » !

واذا عقل غير المسلم فضل الاسلام وعظمته ، ونطق بكلمة الحق لوجه الحق ، فهل يكتمها علماء المسلمين ، وقد احيا الله قلوبهم بنور الاسلام منذ عرفوا الحياة ؟! كلا ، سيمضون في هذا الطريق غير مبالين ولا مكترثين ، يجأرون بالحق ، ويدفعون عنه بصراحة وشجاعة لا تأخذهم رغبة في منصب ومال ، ولا رهبة من قوة وسلطان ، ولا يبتغون الا وجه الله، وخدمة الاسلام .

والله سبحانه المسؤول ان نؤتي كتاب الاعمال غداً باليد التي سجلت هذه الصفحات انه غفور كريم .

الحسن والقبح

قال بعض الشعراء .

رُبَّ قبح عند زيد هو حسنٌ عند عمرو
فهما ضدان فيه وهو وهمٌ عند بكر
ليت شعري فمن الصادق فيما يدّعيه
ولماذا ليس للحسن قياسٌ ، لست ادري

بل ، ان قياس الحسن موجود ، ولو كشف عنه الغطاء لم يختلف فيه اثنان ، والذي دعا الشاعر الى نفيه ، وأوقعه في الحيرة والتشكيك ما قرأه في بطون الكتب من الآراء والأقوال المتضاربة حول تحديد قياس الحسن وبيان مفهومه ومعناه .

لقد اتفقت الكلمة على ان للحسن واقعاً ، وان له قياساً دون ريب ، ولكن وقع الاختلاف في حقيقة

هذا القيــــاس ، فذهب الأشاعرة [1] الى انه ليس للفعل صفة يكون باعتبارها حسناً او قبحاً ، بل ما أمر به الشرع فهو حسن ، ومـــا نهى عنه فهو قبيح ، ولو أمر بالقبح لصار حسنـــــاً ، او نهى عن الحسن لأصبح قبحاً .

فالصدق والكذب ، والأمانة والخيانة ، سيان في الواقع قبل ان ينص الشرع على التحليل او التحريم ، ومما احتج به هؤلاء – الآية ٢٣ من سورة الأنبياء –: « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » والنتيجة المنطقية لهذا القول ان لا فضائل ولا رذائل في الافعال قبل أمر الشرع ونهيه .

ويكفي للرد على القائلين به ان عقولنا تدرك حسن الصدق النافع ورد الوديعة ووفاء الدين، وقبح الكذب الضار والخيانة والتعاون على الأثم كما ندرك ضوء الشمس ، وكما نعلم ان ضم واحد الى مثله يصبحان اثنين ، أجل ان الله سبحانه لا يأمر إلا بالحسن ولا ينهي إلا عن القبح ، كما قال الامام علي ، ولذا

---

١ الاشاعرة هم أتباع ابي الحسن الاشعري المتوفي حوالي ٣٣٠هـ.

لا نقول : هـــذا حسن لأن الله امر به ، وذاك قبيح لانه نهى عنه ، وانما نقول : ان الله امرنا بهذا لانه حسن ونهانا عن ذاك لأنه قبيح .

اما معنى قوله تعالى « لا يسأل عما يفعل » فهو ان العبد لا يحق له ان يقول لله لم فعلت ؟ لانه سبحانه قادر على كل مقدور ، وعالم بقبح القبائح وهو غني عنها. ومن كان كذلك استحال ان يفعل القبيح بخلاف العبد ، حيث يجوز عليه ذلك ، ولذا كان مسئولاً .

وقال المعتزلة والامامية : ان الافعال منها ما هو حسن بحكم العقل لا باعتبار حكم الشرع ، كالصدق النافع وما اليه ، ومنها ما هو قبيح كذلك ، كالكذب الضار ، ومنها ما لا يستقل العقل بالحكم عليه سلباً او ايجاباً ، فنحتاج حينئذ الى الشرع ، كوجوب الوفاء بعقد البيع ، وتحريم اكل لحم الميتة ، وما كان من النوع الاول يعبرون عنه بالحسن أو القبح العقلي ، والنوع الثاني ينعتونه بالشرعي .

وبالجملة ، ان العقل يستقل بحسن شيء وقبح آخر ، ولو في بعض الأشياء وعلى سبيل الموجبة الجزئية ، ولو عزلناه كلية لتهدم اثاث اثبــات الصانع ، ولزم

افحام الانبياء ، حيث يجيز العقل ، والحالة هذه ، ان تظهر المعجزة على يد من يدعى النبوة كذباً وافتراء » [1] ومؤدى هذا القول ان العقل يدرك شيئاً من الحسن والقبح ، ولا يدرك شيئاً منهما ، والذي يدرك كل شيء هو الله وحده جل وعلا .

وقال آخرون : كل ما يحقق رغبات الفرد وميوله فهو حسن ، وكل ما يتنافى معها فهو قبيح ، وهؤلاء هم الفوضويون ومنهم الوجوديون الذين لا يدينون بشيء ولا يعترفون بكائن غير أنفسهم .

ولو اخذنا بنظريتهم هذه لبقي الانسان كما كان يعيش في الكهوف والغابات يقتات النبات والحشرات ، ولم يتقدم خطوة واحدة في مضمار الحياة ، وكيف يستطيع الفرد ان يحقق غاياته اذا لم تتفق مع غايات الآخرين . انه جزء من كل ووجوده يرتبط بوجود غيره ، فلو عمل على اساس تجاهل الحقائق وعدم المسئولية لتحطمت حرية الجماعة وكرامتها ، ولتعذر على أي انسان ان يحقق شيئاً مما أراد . وماذا يبقى لك

---

١ تقريرات الميرزا النائيني للخراساني ج ١ ص ٢٢ طبعة ١٣٤٥هـ.

او لي او لغيرنا اذا انكرنا الشرائع والاخلاق ؟!

وفئة ثالثة ذهبت الى ان الحسن ما يستحسنه الناس، ويألفه المجتمع . وهذا القول لا يصح في المجتمع الفاسد، فقد وأد اهل الجاهلية الاناث ، واعتبروهن سلعاً تشترى وتباع ، وكان المصريون يزفون بناتهم الى النيل ويغرقوهن احيــاء ، والى اليوم نسمع بوجود أكلة لحوم البشر ، وان الانسان يقدم قرباناً للآلهة ، ففي « اوينتشا » غرب افريقيا يقدم اهلها كل سنة شخصين قرباناً لآلهتهم ! وهكذا تدفن الزوجة في بعض بلاد الهند حية مع زوجها ، وكلنا يعلم كيف يعامل الملونون في اميركا وجنوب افريقيا !

والحقيقة ان كل ما ينهض بالحياة ، ويرفع من شأنها بجهة من الجهات الروحية او المادية فهو حسن ، وكل ما يؤخرها عن التقدم ، ويقف في طريق نموها وازدهارها فهو شر وقبيح ، فنهضة الصناعة والزراعة والثقافة ، والتحرر من العبودية والصدق والامانة وضبط النفس عن الحرام والرذيلة والجهاد والتضحية ، وما الى ذلك مما يحل مشكلات المجتمع كله خير وحسن في ذاته وعند العقل والناس اجمعين .

اما الركود والجمود ، اما الكذب والدس ، والاعانة على الظلم والاستغلال فشر وقبيح ، لأنه الموت والهلاك بعينه ، اذن العقل يدرك الكثير مما ينفع الانسانية ويضرها كالأمثلة المتقدمة ، ويخفى عليه الكثير كأكل لحم الميتة وما اليه فتحتاج والحال هذه الى حكم الشرع ليكشف لنا الحقيقة .

وقد يتساءل : اذا كان العقل يدرك الكثير من حسن الاشياء وقبحها ، وكان القياس الذي يميز بينهما بهذا الوضوح وهذه البديهة ، فلماذا وقع الخلاف في تحديده بين اهل الرأي والنظر !؟

والجواب ان اختلاف هؤلاء في معنى الحسن وقياسه لا يدل بحال على عدم وجوده ، او خفائه وغموضه ، وانما يدل دلالة واضحة على انهم لم يدركوا حقيقة العالم الذي عاشوا فيه ، ولم يعرفوا شيئاً عن حياة المجتمع وفئاته ، فلقد كانوا يعيشون في برج عاجي ، ويرتفعون الى السماء ، ويتكلمون عن اهل الارض دون ان يعرفوا عنهم شيئاً ، ومن نأى باحساسه ووجدانه عن حياة الناس ، لا يحق له ان يتكلم عنهم

وعن مقاييس حياتهم .

ومهما يكن فان الحسن حقيقة واقعة وقياسه جلي وواضح ، وان كثرت الاقوال وتضاربت الآراء في شرحه وتفسيره . ومن النتائج المترتبة على ادراك العقل للحسن والقبح أن كل شيء يحكم العقـــل بحسنه فهو محبوب شرعاً ، وما يحكم بقبحه فهو مكروه كذلك ، وهذا معنى قول طائفة من فقهاء المسلمين : « كل ما حكم به العقل حكم به الشرع ... والعقـل رسول في الباطن ، والشرع عقل في الظـاهر ، — مثلاً - اذا ادرك العقل ان العدل حسن والظلم قبيح نحكم بأن العدل محبوب لله ، والثـاني مكروه له ، لأن المفروض ان اوامر الله ونواهيه تتبـع المصالح والمفاسد في نفس الافعال التي تعلقت بها .

وقد ندرك الجهة الداعية لأمر الله ، والجهة الباعثة على نهيه ، وقد تخفى علينا تلك الجهات غير اننـــا نعلم علم اليقين بأن مـــا خفي علينا لو اطلعت عليه عقولنا لكان حكمها موافقاً لحكم الشرع تمامـــاً ، لأننا نثق بعدل الله وحكمته اكثر مما نثق بقدرة الطبيب واخلاصه الذي نستسلم له ولتعاليمه من دون قيد وشرط .

ومرة اخرى نقول : اذا عزلنـا العقل عن ادراك الحسن والقبح الزم ان تكون الاشياء كلها في نظره على نسق واحد ، فلا حق ولا باطل ، ولا خير ولا شر ، ولا صواب ولا خطـأ ، والزم ايضاً ان يجيز العقل على الله سبحانه اللغو والعبث ، والترجيح بلا مرجح ، وانه لا مانع ابداً ان يأمر بقتل الاطفـال والنساء والطيبين الابرياء ، وان يعذب بناره الشهداء والانبياء ، ويدخل جنته السفاكين وقتلة الشعوب ، وان يصدق الكاذب ، ويكذب الصادق .

اذ المفروض ان العقل لا يقر ولا ينكر ،لا يستحسن ولا يستقبح ، وانما توجد جهـة الحسن في الشيء بعد ان امر الله به ، وتتحقق جهة القبح فيه بعد ان ينهى عنه ، مع ان العكس هو الصحيح ، أي ان الله أمر بهذا لأنه حسن ، ونهى عن ذاك لانه قبيـح ، بدليل قوله عزّ من قائل : « ان الله يأمر بالعـدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي .. أجل لكم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ... واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يـأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله

ما لا تعلمون ».

أجل، ان حكم العقل بحسن هذا وقبح ذاك يتفق تماماً مع الارادة الالهية، ويستلزمها بالضرورة، فإن عدل الله الشامل، وقدرته على كل مقدور، وتنزيهه عن اللغو والعبث، وعلمه بالخفايا والاسرار، وحكمته التي تستوجب ان تكون افعاله واوامره ونواهيه كلها على أتم ما ينبغي، وأبلغ مـــا يتصور، بحيث تترتب عليها المصالح والمنافع، وتندفع بها المضار والمفاسد، ان هذه وما اليهـــا تستدعي ان يفعل الله الحسن دون القبيح.

وعلى هذا الاساس، اساس ادراك العقـل للحسن والقبح، وعدالة الباري وقدرته وحكمته سنتكلم في الفصل التـــالي بعنوان النبوات، نتكلم فيه عن هذه الحقيقة: « هل يحكم العقـل بأن ارسال الرسل مبشرين ومنذرين حسن اولاً ؟ » ومتى اثبتنـــا هذا بحكم العقل ثبت بالضرورة والبديهـة ان الله قد بعث انبياءه هداة للناس.

النبوات

نبدأ هذا الفصل بذكر الصفات التي يجب توافرها بالنبي ، ليصبح اهلاً لتلقي الوحي ، وبيان الغاية من ارساله وبعثته ، ومنهما يتضح حكم العقل بثبوت النبوات وارسال الرسل .

النبي انسان مبعوث من الله الى النـاس ، من الحق الى الخلق ، ولا يبعث الله رسولاً حتى تجتمع فيه الصفات التالية :

صفات الرسول

١ – ان يكون كامل العقل والذكاء بحيث يدرك ما يسمع ويقال له على حقيقته ، ويفطن الشيء بسرعة وان كان خفياً ، ولا يتحير ويتردد في الامور .

٢ – ان يكون كبير النفس يسمو بطبعه الى الأرفع والأفضل .

٣ – ان يكون سليم الجسم من الأمراض المنفرة كالجذام والبرص وما اليهما .

٤ – ان يكون اميناً ومنزهاً عن الفظاظة والغلظة، وعن دناءة الآباء وعهر الأمهات . وكل ما يشوه السمعة والسيرة ، لئـــلا تنفر منه الاذواق السليمة ، فلا يحصل من بعثته الغرض المطلوب ، وهو حمل النـاس على الحق والابتعاد بهم عن الباطل .

٥ – ان يكون شجاعاً غير هيـــاب لا يجبن ولا يتخاذل في سبيل الحق والعـدل مهما تحرجت الامور ، وانذرت بالشدائد والمحن ، لان الرضوخ والتخـــاذل لا يتفق مع الوفاء للعقيدة والمبدأ . وان يكون كريماً يؤثر على نفسه ، ولو كان به خصاصة .

٦ – ان يكون زاهـداً غير شره على الشهوات ، لأنها تحول بين المرء وعقله ودينه .

٧ – ان يكون بليغاً يعبر عما يريد بأكمل واوضح بيان ، لأن ذلك أدعى في التأثير ، وأجدى في التبشير .

٨ – ان يكون معصوماً عن الزلل والخطــأ والسهو في تبليغ الاحكام ، لأن الغرض من بعثته ارشاد الناس الى الحق وردعهم عن الباطل ، فلو جاز عليه الخطـأ

والمعصية لذات الغرض المطلوب . وقديماً قيل : « فاقد الشيء لا يعطيه » .

ومن هذه الصفات يتبين معنـا ان النبي بشر كسائر النـاس لا يختلف عنهم في شيء الا انه انسان كامل خصه الله بوحيه ورسالته « قل انمـا انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه فصلت ٦ » .

الغاية من البعثة

اما الغاية المتوخاة من وجود الأنبيـاء فهي ان يسمعوا اهل الارض نداء السماء ، ان يدعوا الى الايمـان بإله لا شريك له ولا مثيل ، والى الخشوع والخضوع للحق بنية خالصة مخلصة ، وان يرشدوا الى مـا فيه الخير والسعادة للجميع دنيا وآخرة ، فيبثوا روح التعاطف والتراحم بين النـاس ، وحث العدل والحق ، ويهيئوا كل فرد بوازع من عقيدته وايمـانه الى عمل الخير وترك الشر ، الى التحرر من المنافع الشخصية ، والقيام بالواجبـات الاجتماعية ، وابلغ كلمة تعبر عن مهمة

النبي قول الرسول الاعظم : « انمـــا بعثت لاتمم مكارم الأخلاق ».

ومن الخـير ان ننقل هنا كلمة صغيرة كبيرة لبعض المخلصين خاطب بها مرجعاً دينياً كبيراً ، قال :

« تذكر ان الدين هو صاحب السيـــادة لا انت ، وانما انت واحد من النــاس ، واخ بين اولئك الذين يجدون غبطة في الله : وشريك مع الذين يخـــافونه ، وفيما عدا ذلك فـاعتبر نفسك مجبراً ان تكون وجه العدالة ، ومرآة القـداسة ، ونموذج التقى ، ومعيداً الى الحقيقة حريتها ، ومدافعـاً عن الايمان ، ومعلماً للأمم ، وداعيـــاً للشعب ، وسيداً للحق ، وملجأ المظلومين ، ومحاميـاً عن الفقراء ، واملاً للمتألمين ، وحامياً للايتام ، وقاضياً المترملين ، وعينـــاً للمكفوفين ، وعصا عن الاقوياء ، ومطرقــة على الطغاة ، وأبـاً الملوك ، ومديراً للقوانين ، ومراقباً للانظمة ، فانت ملح الأرض ونور العـــالم ، وخادم الرب العظيم تذكر ما اقول لك ، وليعطك الله فهماً »

وبهذه الصفات يصبح صاحبها طريق الحق وصراط الله القويم ، والعقل الكامل للانسانية جمعاء . وعليه

تكون بعثة الانبياء حسنة بحكم العقل والضرورة ، وكل حسن فهو محبوب ومراد لله سبحانه . واذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون اذن البعثة كائنة ومتحققة بالفعل .

وسئل الامام جعفر الصادق عن الدليل على البعثة فقال :

« لما اثبتنا ان لنا خالقاً متعالياً عنا ، وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً لا يشاهده خلقه ، فلا يلامسهم ولا يلامسونه ، ولا يباشرهم ولا يباشرونه ثبت ان له سفراء في خلقه وعباده يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ... وهم الانبياء والصفوة من الخلق » .

البراهمة

وقال البراهمة [1] : لا حاجة لبعثة الأنبياء ، لأن النبي اما ان يأتي بما يوافق العقول ، واما بما يخالفها ، فان جاء بما يوافق لم تكن اليه حاجة ، ولا فيه فائدة ، لأن العقل يغني عنه ، وان جاء بما يخالف

---

[1] قيل : ان البراهمة طائفة في الهند تنتسب الى برهم احد حكماء الهند القدامى .

وجب اهماله ورده .

والجواب : اننا لا نشك بان العقل يدرك حسن بعض الأفعال كالصدق والعدل ، وقبح بعضها كالكذب والظلم - كما اسلفنا - وهو يحكم ايضاً بان فاعل الحسن يستحق المدح ، ومرتكب القبيح يستوجب الذم ، ولكن هناك امور كثيرة لا يدركها العقل ، ولا يحكم بها سلباً او ايجاباً ، كشكل العبادات التي تقربنا من الله سبحانه ، وكالوفاء بعقد الزواج والبيع والهبة ، وكيفية تقسيم الميراث ، ونوع العقاب الذي يستحقه المجرم ، وكحقوق الزوج والزوجة ، والوالد والولد والربا والزنا واللواط ، واحكام الشركات والبلديات والنقابات ، وما الى ذلك من حاجات الاجتماع التي لا يبلغها الاحصاء .

ان الانسان يمتاز عن الجمادات والحيوانات بانه لا يستطيع ان يحتفظ بكيانه ، ويحقق غاية من غاياته الاجتماعية ، كانسان اجتماعي الا بشريعة عادلة واعية يخضع لها في سلوكه وأفعاله ، وهذه الظاهرة لازمت المدنيات والحياة الاجتماعية منذ وجودها حتى اليوم ، وستلازمه الى آخر ساعة .

من هو المشرّع ؟

وهنا سؤال يفرض نفسه : من اين تستمد قوتها هذه الشريعة ؟ ومن الذي يجب ان نأخذها عنه ، ونرجع بها اليه ؟

وتقدم معنا اننا لا نستمدها من العقل وحده كما يدعي البراهمة ، فالعقل لا يلزمك ان تتحمل مرارة العيش ومتاعب الحياة من اجل زوجتك وتربية اولادك ، وان تعمل ليل نهار تغرس وتبني للاجيال المقبلة التي لا يربطك بها رابط بعد ان تفارق الحياة ، وعقلك لا يلزمك ايضاً بان تضحي بدمائك واموالك واولادك في سبيل وطن ولدت فيه ، وارض الله واسعة الفضاء . هذا الى ان اكثر من يدعون النظر والتفكير يشرحون بمنطق العقل — كما يزعمون — حوادث لا تمت اليه بصلة . وفي كل يوم نسمع ونرى العشرات من المتعلمين وغير المتعلمين يفعلون ويتركون بدافع من عاطفتهم ورغبتهم ، وهم يحسبون ان ما أقدموا عليه ، وأحجموا عنه كان باملاء العقل وحده ، وانهم لا يأتمرون الا بأمره ، ولا ينتهون الا بنهيه .

وقد يقـــال : نأخذ الشريعة من الفلسفة ، ونجيب : ان للفلسفة مذاهب شتى فعلى ايها نعتمد ، على الفلسفة المثالية او المادية ، ثم بأية مثالية نأخذ ، بالمثالية القائلة بأنه لا وجود للطبيعة أبداً إلا في خيالنا واذهاننا ، او بالمثالية الزاعمـة بأن الطبيعة موجودة ، ولكن العقل يعجز عن ادراكها ، واذا تركنا هذه ورجعنـــا الى الفلسفة المادية ، فهل نعتمد المـادية الميكانيكية ، أو الديالكتيكية [1] .

أو يقال : نأخذ الشريعة من العلم . وكلنا يعرف ان العلم لا شأن له بالشريعة والتشريع ، وانما يكشف عن قوى الطبيعة ، وحقائق الاشياء وخواصها ، ومـا ينتج عنها ، على ان العلم في هـذا العصر قدم لنا القنابل والمدمرات والناسفات ، واتخذ منه المحتكرون والمستغلون أداة اللصوصية والقرصنة .

(١) الفرق بينهما ان الميكانيكية تفسر الوجود تفسيـراً آلياً محضاً ، وتخضع كل كائن لقوانين صارمة يستحيل تغييرها او تبديلها تماماً كالاجرام السماوية الـــتي تدور في افلاكها برتابة ولا تحيد عنها قيد شعرة على العكس من المادية الديالكتيكية فانها تنمو وتتطور على الدوام ، ونتائجها تتفاعل وتتبادل التأثير ، وتأتي بنتائج اخرى ، وهكذا الى ما لا نهاية .

أو يقـال : نأخذ التشريع من الملوك والامراء ، كما كانوا يفعلون من قبل . اجل ، لقد بنى فرعون مصر الاهرام ، وانفق عليه ما يبني اكثر من سد عال ، بناه لا ليطعم الجائعين ، بل ليحفظ جثته وجثث ذويه وحاشيته بعد الموت . وكل الـملوك والامراء فراعنة وملاعنة .

أو يقال : نأخذ القوانين من البرلمـانات والهيئات الدولية .

وجوابنـا ان عصبة الامم أقرت اعتداء موسوليني على الحبشة والبانيا . وأقر مجلس العموم البريطاني ، والبرلمان الفرنسي احتلال هتلر لتشيكوسلوفاكيا قبيل الحرب الثانية ، كما اقرت الامم المتحدة الحرب في كوريا ، واعتداء اسرائيل على فلسطين ، واعترفت بفرموزا ، وأنكرت الصين الشعبية

ان اكثر القوانين الحديثة التي اقرتها امثال هذه الهيئات قد وضعت لصالح الفئات واستغلال الأقلية للأكثرية . امـــا ما نراه في بعض القوانـين من حقوق العمال ، والضمان الاجتماعي بزعم واضعيها فلا تجتث المشكلة من الجذور ، لأنها وضعت على

أساس النظام الاقتصادي الموجود . وأغرب ما في هذه القوانين انها تحتوي على مواد تبعث على التسول والتشرد ، ومواد اخرى تنص على عقوبة المتسولين والمتشردين ، فهي تخلق الاجرام وتعاقب عليه في آن واحد ، وصدق القرآن الكريم : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً – النساء ٨١ » .

اذن ، نحن في حاجة الى نظام لا يستمد قوته من المذاهب الفلسفية ، ولا من اصحاب المصانع والشركات الاحتكارية ، ولا من المجالس والهيئات السياسية . وكيف تؤخذ القوانين والأحكام من المصالح والمنافع الشخصية ؟! ومن الذي يقبل شهادة من يجر النار الى قرصه ويبتغي النفع من شهادته ؟! وأية هيئة مهما بلغت مقدرتها وفطنتها تستطيع ان تأتي بنظام يتناسب بأسسه ومبادئه مع جميع العصور والشعوب والفئات وفي كافة الأحوال ؟! كما هي الحال في الشريعة الاسلامية .

والنتيجة المنطقية لذلك ان لا غنى للنظام السليم والشريعة الصحيحة من الاعتماد على قوة مدركة عالمة بما ينفع الانسان ويضره ، ويصلحه ويفسده ، وغنية

منزهة عن الغايات وعن كل نوع من انواع النفع ، ولا يتوفر هذان العنصران إلا بالوحي من الله الغني العليم « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول – النساء ٥٨ » .

ومن هنا يتبين الخطأ فيما ذهب اليه البراهمة من الاكتفاء بالعقل عن الشرع [١] . اجل ، يجب ان لا يكون في الشرع شيء يخالف العقل ويناقضه

دلائل النبوة

تعرف نبوة النبي بأمور ثلاثة :

١ – ان لا يقرر ما يخالف العقل والواقع ، كتعدد الآلهة ، وان الارض ليست كروية ، وان تتفق تعاليمه مع الفطرة ، ولا تتنافى مع الغرائز البشرية وتقدمها ، كتحريم الزواج وذم العلم ، وما الى ذلك .

٢ – ان تكون دعوته طاعة لله ، وخيراً للانسانية .

٣ – ان يظهر على يده معجزة تظهر صدق دعواه . وقال المتكلمون في تعريف المعجزة : انها ثبوت ما

---

(١) تعرضنا في كتاب « الاسلام مع الحياة » لقول البراهمة عندما تكلمنا عن الوحي ، واجبنا عنه باسلوب آخر .

ليس بمعتاد مع خرق العادة ، كانقلاب العصا حية ، أو نفي ما هو معتاد ، كمنع القوي عن رفع اخف الاشياء ، كالريشة [1] وسنرى فيما يأتي ان معجزة محمد هي الحق والصدق في كل ما أتى به ، وانزل اليه من ربه

---

(١) قال علماء الاسلام : ان المعجزه تنفرد عن الكرامة بأن الاولى لا تظهر الا على يد الانبياء، ولذا يشترط فيها التحدي بأن يقول النبي لمن بعث اليهم : ان لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا الفعل، اما الكرامة فتظهر على يد الصالحين والاولياء من غير تحد، كقصة مريم وحملها بالسيد المسيح .

معجزة محمد

روى المجلسي في كتاب البحار عن كتاب المناقب انه كان لمحمد من المعجزات ما لم يكن لأحد من الأنبياء ، وقد بلغت اربعة آلاف واربعمئة واربعين معجزة ، وانها تنقسم الى اربعة انواع : النوع الاول كان قبل ميلاده . والثاني بعد ميلاده . والثالث بعد بعثته . والرابع بعد وفاته .

وسواء أكان له كل هذه المعجزات او بعضها، فلسنا بحاجة اليها ما دام القرآن الكريم ، وشريعة الاسلام ، وشخصية محمد اقواها وابقاها . ولله در من قال :

« وما الشهادة للنبوة الا ان تكون نفس النبي ابلغ نفوس قومه ، حتى لهو في طباعه وشمائله طبيعة قائمة وحدها ، كأنها الوضع النفساني الدقيق الذي يُنصب ليُصحح الوضع المغلوط للبشرية »

وهذه هي بالضبط نفس محمد واخلاقه ، انها آية

كبرى تثبت صدقه لدى العارفين المنصفين ، وتصحح الوضع المغلوط . اما اهل الغباوة والبلادة ، امــــا المكابرون الذين لا يؤمنون حتى يشاهدوا بأعينهم انشقاق القمر ، وتكلم الحصى والشجر ، اما هؤلاء ومن اليهم فلا خير فيهم ولا في ايمانهم ، انهم تماماً كبني اسرائيل ، آمنوا بموسى ، وعندما رأوا قوماً « يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، ان هؤلاء متبرّ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال اغير الله ابغيكم الهاً ، وهو فضلكم على العالمين – الاعراف ١٤٠ » .

وقد يتساءل : كيف فضــــل الله اليهود على عالمي زمانهم ، وهذا شأنهم ؟!. واجيب عن هذا التساؤل بان التفضيل لم يكن لصفة حسنة فيهم ، وانمــــا فضلوا بان موسى منهم ، وبنجاتهم من اذى فرعون وقومه ، كما يدل عليه قــول الله سبحانه في الآيــة اللاحقة : « واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتّلون ابناءكم ويستحيون نساءكم » . وعلى الرغم من نجاتهم من سوء العذاب ، وتحررهم من العبودية فما ان انتقل موسى الى ربه حتى اتخذوا

من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار .

وقد ابتلى محمد بامثال هؤلاء ، وبأشد منهم توحشاً وعناداً ، قال صاحب كتاب البحار : ان جماعة جاؤوا الى الرسول ، فقال له أحدهم : لن نؤمن لك حتى يشهد لك هذا البساط الذي نجلس عليه . وقال آخر لا اصدقك حتى يعترف لك هذا السوط الذي في يدي . وقال ثالث : وانا لا اقر لك بالنبوة حتى ينطق حماري هذا الذي اركبه بانك على حق ثم قال صاحب البحار : بالرغم من ان محمداً قال لهم : ليس لنا ان نقترح على الله ، وانما علينا التسليم والانقياد لأمره ، فقد القى كل من البساط والسوط كلمة طويلة ، وهدد السوط صاحبه بالضرب حتى الموت ، والحمار راكبه بالرفس حتى الهلاك .

ومهما يكن ، فان الذي جاء بالهدى ودين الحق لا يحتاج الى شهادة الحمير والسياط والبساط . وان دلت هذه الرواية على شيء فانها تدل على ما كان يلاقيه الرسول من المكابرين والمتعنتين . وقد جاء في الآية ٩٠ من سورة الاسراء : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً ، او تكون لك جنة

من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً ، او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، او تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، او يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى إلى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً »

وجاء في الآية ١١١ الانعام : « ولو أننا انزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون . وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » .

أرأيت الى هذه القلوب ؟! إلى هذا الداء الأصيل الذي لا دواء له إلا الموت ؟! وهل سمعت بصلافة وغواية أشد من هذه ؟! وبأي لفظ نعبر عن هؤلاء ؟! انهم لئام وكفى ، فهم لا يؤمنون ، وان كلمهم الموتى او أتاهم الله والملائكة والناس اجمعين .

وهؤلاء الشياطين موجودون في كل طائفة وكل بلد وكل زمان . ابتلى بهم محمد بالأمس ، والمخلصون اليوم ، وسيبتلي بهم كل طيب غداً . تأتيهم بالحقيقة فيقولون لك : ولكن لماذا كان كذا ، ولم يكن كيت ؟!

وتجابههم بالمنطق الذي لا سبيل إلى رده وإنكاره فيأبون إلا التعنت والمكابرة ، وتكافح الاستعمار والاقطاع والعملاء فيقولون تجاوزت الحدود ، وتدعو الى الدين فيقولون طائفي متعصب ، وتسكت فيقولون سلبي انعزالي . وما داموا كذلك ، فما عليك اذن إلا ان تشد من عزمك ، وتمضي في طريقك ...

ونحن لا نعجب ولا نستغرب من موقف هؤلاء ، لاننا على يقين بأنهم ليسوا من ذوي العقائد والمباديء . ان صاحب المبدأ لا يفتري ولا يختلق الأكاذيب ، فثقته بعقيدته تغنيه عن التزييف والتلفيق ، وصاحب المبدأ لا يستنكر من غيره ما يرتضيه لنفسه ، ولا يستعمل العنف ، ولا ينهش لحوم الغائبين ، بل ينصح ويصفح ، ويتهم نفسه ، ويسأل الله الهداية له وللناس كافـــة ، وبكلمة ان أصحاب المباديء يتجنبون الاقذار والاوزار .

ونعود إلى رسالة محمد ، وما يدعمها من أدلة العقل وهي تفوق الحصر ولا يبلغها الاحصاء ، كانت في عهده وما زالت حتى الآن يستطيع النظر اليها من شاء ، فهذا القرآن الكريم ، وشريعة الاسلام ، وسيرة

الرسول في متناول كل يد ، فعلى طالب الحقيقة ان يقرأ ويتدبر ، اما القول تعصباً وبغير علم فهو جور وفتنة وتضليل .

وسنروي في الفصل التالي قصة دكتور مسيحي من أقباط مصر ، اطلع على الأديان وقارن بينها ، وانتهى الى الايمان بمحمد ، ووضع كتاباً للدفاع عن رسالته . واراهن أن من قرأ هذا الكتاب لا بد أن يؤمن بكل ما جاء فيه ، من حيث يريد او لا يريد ، لان الواقع يفرض نفسه . وقبل ان ننتقل الى قصة الكتاب وصاحبه والى الكلام عن القرآن وبعض خصائص الرسول الاعظم نشير إلى حقيقتين تتصلان بنبوة محمد وصدق رسالته :

١ - من الآراء السائدة اليوم ان الهدف الذي يؤلف بين المجتمع ، اي مجتمع لا بد ان يتصل عن قرب أو بعد بالعلاقات الاقتصادية ، والضرورات المادية ، وان أي إصلاح او حركة لا يكتب لها النجاح والدوام الا اذا قامت على عنصر مادي ، سواء أكان القائم بها سياسيون أو دينيون او فلاسفة .

وعلى هذا المنطق يحق لنا القول بأن نجاح محمد في دعوته ينبغي ان يعد من أهم المعجزات وخوارق

العادات ، لان رسالته قامت في بدئها على نبذ الاصنام وعبادة مبدأ أعلى ، وعلى الايمان بالجنة والنار ، والثواب والعقاب بعد الموت ، فدعوته والحال هذه ، كانت دعوة غيبية بدافع من حاجات العقل والروح ، أي انها دعوة ميتافيزيقية ، وعليه لا مناص من احد أمرين : امـــا الايمان والتصـديق بنبوة محمد لظهور هـذه المعجزة على يده ، واما الاعتراف بأن الضرورة الاقتصـادية ليست كل شيء ، وانه لا بد أن ندخل في حسابنا عناصر أخرى ، ومن أهمهـا دعوة الانبيـاء الى الايمـان بالله واليوم الآخر .

٢ ـ ان كل من اعترف بمبدأ النبوة من حيث هو ، وآمن بنبوة نبي واحـد كائناً من كان يلزمه قهراً ان يعترف ويؤمن بنبوة محمد ، ومن أنكر نبوة محمد يلزمه أن ينكر نبوة جميع الانبياء ورسالة جميع الرسل ، لان ما من صفة أو آية كانت لنبي الا كان لمحمد مثلهـا أو أعظم منها ، وقد قيل : « مـا حصل به الاتفاق لا يكون سبباً للافتراق » فاذا قلت : كل انسان فانٍ ، فلا يحق لك أن تفرق في هذا الحكم بين زيد وعمرو ، فتقول : هذا فانٍ ، وذاك باقٍ . لان القانون العام يصدق على

الجميع . وصدق الله حيث قال : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً ، وقد اعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً – النساء ١٥٠ » .

ان من يؤمن ببعض الرسل دون بعض فهو كافر بالله بحكم القرآن ، اذ لو كان صادقاً في ايمانه بالله سبحانه لصدق جميع رسله ، لان الدليل الذي دل على نبوة البعض قد دل في نفس الوقت على اصل النبوة من حيث المبدأ ، فاذا صدقنا البعض لزمتنا الحجة بالا نكذب البعض الآخر ، وإلا كان انكاراً بلا سبب ، وتفاضلاً بلا موجب .

ومن هنا آمن المسلمون بالانبياء جميعاً دون استثناء ، وفي طليعتهم موسى وعيسى عليهما السلام . .

وفي الصفحات التالية نتكلم عن «الرسالة والرسول» و « القرآن » و « محمد » في بعض خصائصه ، وكفى بها حجة واعجازاً .

الرسالة والرسول

الدكتور نظمي لوقا من الاقباط المصريين تولد من ابوين مسيحيين ، كانا يقرآن له فصولاً من الانجيل كل يوم ، ويرسلانه الى الكنيسة ، ولوالده اجداد كثر من القسيسين وذوي الطيالس السود ، والدكتور نظمي عالم وأديب وله ما يقرب من اربعين كتاباً في مواضيع شتى ، وقد قرأ القرآن وحفظه وقارن بين الأديان وتعمق في دراسة السيرة النبوية ، وأخلاق الرسول الأعظم ، واطلع على الكثير من أسرار الاسلام وشريعته وتعاليمه فآمن بمحمد وما انزل اليه من ربه ، آمن به عن علم وبصيرة ، وبدافع من الاخلاص للحق واهله ، ووضع في هذه السنة ١٩٥٩ كتاباً خاصاً تحدث فيه عن شخص الرسول ورسالته ، وأثبت صدقها بالارقام ومنطق العقل والوجدان ، وان جميع تعاليمها تقوم على أساس الصدق والعدل والمساواة ،

وتهدف الى تقديس الانسانية وسعادتها ، وهذه هي مهمة الدين الصحيح ، امـــا محمد فقد اجتمعت له صفات الأنبياء والرسل بكاملها .

واسمى المؤلف كتابه « محمد . الرسالة والرسول »، وصدره بهذه الآية « وان من اهل الكتـــاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم ومـــا انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنـــاً قليلاً . اولئك لهم أجرهم عند ربهم » . مشيراً بهـــذه الآية الى انه احد المعنيين بهـــا . ونحن نلخص للقراء بعض فصول هذا السفر الخالد ، وهدفنـــا ان نبين ان الحق لا يلتمس بما الف الانسان من عادات ، وما ورث من تقاليد فحسب ، ونجمل اقواله فيما يلي :

ان آفـــة العقول البشرية هو التعصب الذميم ، لأنه العمى والصمم ، امـــا الصدق والانصاف ، أما الاعتراف بالحقيقـــة وانصافك لخصمك فيشهد لك بالفضل وحسن الرأي وأي شريعة أدعى للانصاف من رسالة محمد التي تقول « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعـدلوا هو اقرب للتقوى . . واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » .

وأي انسان لا ينصف ديناً تنادي شريعته بالحق والعدل فهو جـاهل او متعصب لا يستأهل التكريم والاحترام . وكيف يستكثر غـير المسلم الانصاف على رسول كمحمد لا لشيء إلا لأنه اتى بغير ما كان يؤمن به آباؤه ويدينون . ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه وحملها على الجحود والجور . ان من يحتكم الى العقـــل يرى ان محمداً قد اجتمعت له آلاء الرسل ومفـاخر للبشرية بكاملهـــا ، ومن اراد الخير للانسانية فلا يحق له ان يثلب ابطالها وهداتها ، ويهدم عزها ومجدها .

ثم ما من نبي حمل الى الناس صكاً مذيلاً بتوقيع الله بانه رسول من عنده ينطق بلسانه ، وانمـا الدليل الوحيد الذي يشهد بصدق النبي ، ولا يغني عنه الف دليل ودليل هو ان يطمئن العقل الى ما جاء به بحيث يبدو ان كل ما يباينه هزيلاً واضح البطلان .

واذا نظرنا من هذه الكوة الى رسالة محمد لمسنا فيها آيات الصدق والحق ، ولم نجد اي شيء يدمغها بالزيف والبطلان ، او يبرر الشك والريب ، ومن انكر هذه الحقيقة فلا حجة له الا قوله : « هذا رأي وكفى » . ومثله لا يعول له على رأي لانه مكابر بغير حجة . واليك

ادلة العقل على نبوة الصادق الامين :

١ - ان الانسان بطبيعته في حاجة الى عقيدة سليمة، ولا تكون كذلك الا اذا صححت ما ترددت فيه الانسانية من الاخطاء في الأفكار والتقاليد، والا ان تتجه الى الناس كافة، ولا فرق بين شعب وشعب، ولا بين جيل وجيل، ولا بين فئة وفئة، ومن اهم هذه الاخطاء التي وقعت فيها البشرية الاعتقاد بتجسيم الخالق وتعدده، والتفاضل بين الناس على اساس عنصري او جغرافي او نسب او مال، وقد صحح القرآن الكريم الانحراف الاول بسورة الاخلاص، « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد »، ولا شيء اقرب الى طمأنينة العقل والقلب، وادعى الى كرامة الانسان من الايمان بإله واحد منزه عن كل مثيل وشبيه. وصحح الخطأ الثاني بالآية الكريمة : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. ان اكرمكم عند الله اتقاكم ». وقال الرسول : « كلكم من آدم وادم من تراب »

٢ - ليس في عقيدة المسلمين تأليه ولا شبه تأليه لمعنى النبوة، فقد صرّح القرآن على لسان محمد « قل

انما انا بشر مثلكم » . وفي اختيار لفظة مثلكم معنى مقصود به التسوية والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة فوق مستوى البشر بحال من الاحوال ، بل ، نجد في القرآن ما هو اصرح من هذا : « فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ ... انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر ... قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ... ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . وما مسني السوء » . ومثل هذا كثير في القرآن والحديث . أراد محمد ان يشعر الناس بانه مثلهم حقاً وصدقاً ، يمسه السوء والثكل ، ولم يستعمل الاحتيال مع احد ، كما نستعمله نحن مع الاطفال ، ليقبلوا على ما نريد ، ويعزفوا عما نكره .

٣ – جاء الاسلام بشريعة تجمع في مملكة الحق والعدل بين الدنيا والآخرة : « وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » . « واعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » . وتستوحي هذه الشريعة تحسين حال الجماعة تحسيناً ينعكس على كل فرد ، وتربط حسن الاخلاق بالمصلحة الاجتماعية ، فالخير ان تبتغي الرزق بالعمل . وتتعاون

مع الناس على البر والتقوى . والشر ان تعيش على حسابهم ، وتتخذ من الرياء والنفــاق اداة للكسب .
وهذه هي شريعة الحياة بعينهــا ، تتفق مع الفطرة ، وتساير التطــور الطبيعي ، وتسمح للانسانية بالتسامي الى اقصى ما يمكن ان تصل اليه .

٤ – ان الرسالة التي تسير بصاحبهــا على الورد ، ويكون هدفها الغنم له ولذويه فهي افــتراء وزور ، أما الرسالة التي يلاقي صاحبها في سبيل انتشارهــا وبقائها العنت والجهد في صدق وعــدل ، وقد امتحنت الخطوب محمداً بما لم تمتحن به احداً ، وحين كتب لدعوته النصر ، وتم له الفتح لم يظفر من الدنيــا الا بما كان لعــامة جنده وفقراء رعيته ، وكان في وسعه ومقدوره ان يكون أغنى الأغنياء .

جاء المشركون الى عمه ابي طالب ، وقالوا له : ان ابن اخيك شتم آباءنا ، وسفه احلامنا ، وعيب آلهتنا ، فقل له ان يترك هذا الامر ، ونحن نقيمه علينا ملكاً ، ونقاسمه جميع أموالنا ، والا نازلنــاه ونازلناك حتى يهلك احد الفريقين ، وتقــدم اليه عمه ، وقال له : يا ابن اخي ابق علي وعلى نفسك ولا تحملني ما لا اطيق .

فأجـــابه الرسول : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري لم أترك هـذا الأمر حتى يظهره الله او أهلك دونه.

لقد آثر محمد الفقر والعنــــاء على السلطان والثراء ، لأنه صاحب رسالة لا طالب مال او جاه وأصحـــاب الرسالة لا يرون الحياة الا في مبـادئهم ، والتضحية في سبيلها بالنفس والنفيس . ومن هنـــا كتب لدعوة محمد الخلود والصمود ، وآمن بها مئات الملايين .

ثم ختم الدكتور لوقا كتابه بجملة من صفات الرسول قال : كان محمد رسول السماء ليس فوقه الا الله ، ومع ذلك اطراه اصحابه مرة بالحق الذي يعلمون فقال لهم : لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد الله . واتاه اعرابي يوم الفتح ليبايعه ، وحين وقف بين يديه أخذته الرهبة وارتعد من هيبة الحق فقـال له : هون عليك انا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة. وفي ذات يوم خرج على جماعة فنهضوا تعظيماً له ، فنهـاهم قائلا : لا تقوموا كما يقوم الاعـــاجم يعظم بعضهم بعضاً . وكان اذا مرض المريض من ادنى الناس يعوده ويقبل دعوة المساكين الى الطعام ، ويداعب الأطفال ،

ويجلسهم في حجره ، ويمازح اصحابه ، ويتبسط معهم في الحديث ، ويقوم بحاجة الفقير والضعيف ، ويحلب الشاة ويقطع اللحم ، ويعقل البعير .

وحين شعر بدنو أجله تحامل على نفسه ، وخرج الى المسجد ، وخطب في الناس خطبته الاخيرة قائلاً :

أيها الناس مَن جلدتُ لهظهراً فهذا ظهري ، ومَن أخذتُ له مالاً فهذا مالي ، ليأخُذه منه ، ولا يخشى الشَحناء من قبلي ، فانها ليست من شاني . ألا وان أَحبكم الي من أخذَ عني حقاً ان كان له ، او حللني منهُ ، فلقيتُ ربي طيبَ النفس . فقال سواد بن غزية : يا رسولَ الله أوجعتَ بطني بالقضيب يومَ بدر وأنتَ تسوي الناسَ صفاً صفاً ، فمكنّي من نفسك لاقتص منك . فوقفَ النبيّ ودعاهُ للاقتصاص منه بالقضيب . فقال الرجل : ان عليك قميصاً ، ولم يكنْ على بطني يومذاكَ قميص ، فرفعَ الرسول قميصه عن بطنه متأهباً للقصاص من نفسه ، فما كان من سواد إلا أن عانقهُ وقبّلَ بطنه العاري ، ليمس جسده الشريف قبل أن يفارقَ الدنيا .

أبعد كل ما قدمت يا أبا القاسم لقومك من البر والخير

والفضل ، وبعد ما اخرجتهم من الظلمات الى النــور ، أبعد ما نصحت لهم ، وجاهدت وتحملت من أجلهم ما تحملت تقف لهم موقف « المذنب » ليقتصــوا منك ، ويستوفوا حقوقهم من شخصك .

أي رحمة أوسع ؟! وأي خلق أكرم ؟ وأي عدل أبلغ ؟! وأية معجزة أعظم من هذه ؟! وهــل نحتاج بعدها إلى دليل على صدق محمــد ؟! إذن « ليس يصح في الافهام شيء » . هذا مع العلم ان سيرته وتعاليمه كلها معجزات وآيات لا تترك للجاحد إلا التعنت والمكابرة .

وبعد ، فقد قدم المؤلف في كتابه هذا خدمة عظمى للحق والعلم ، وأتمنى ان يقرأه كل انسان ، ثم يرجع القارىء إلى نفسه ليرى وقع الكتاب ، وسيكون على يقين من ايمانه بكل ما جاء فيه من حيث يريد أو لا يريد ، لان الواقع يفرض نفسه ، شئنا أو أبينا . وجزى الله الدكتور لوقا جزاء المجاهدين في سبيل الحق والعدالة

القرآن

كان الامام زين العابدين اذا ختم القرآن يناجي ربه بدعاء طويل ، يفتتحه بقوله :

« اللهم انك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً ، وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته ، وفضلته على كل حديث قصصته ، وفرقاناً فرقت به بين حلالك وحرامك ، وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك ، وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلاً ، ووحياً انزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وعلى آله تنزيلاً ، وجعلته نوراً نهتدي به من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه ، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق الى استماعه ، وميزان قسط لا يحيف عن الحق ، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه ، وعلم نجاة لا يضل من أمّ قصد سنته ، ولا تنال ايدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته » .

تحدث القرآن الكريم عن الله وصفاته، وعن الآخرة

والحساب والجزاء ، وجادل أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الانجيل بانجيلهم ، وأهل الشرك بأصنامهم .

وبيّن من أنواع العبادات ما يذكر الناس بالله ، ويبعثهم على الاخلاص له في القول والعمل ، فهي ركوع وسجود في صورها ، وخلق كريم في جوهرها .

وشرع نظاماً انسانياً شاملا لاحكام العقود والموجبات ، والزواج والطلاق والوصايا والمواريث ، والحدود والعقوبات ، وما إلى ذلك مما يحتاج اليه الفرد والجماعة ، أو قل ان القرآن حدد مسؤلية الانسان اتجاه نفسه وخالقه وغيره ، وبين له كيف يواجه هذه المسؤليات ويمارسها .

وسجل اخبار الامم الماضية والقرون الخالية . -

وأرشد الى حقائق علمية تكشف عن أسرار الكون ، كما امر بالتأمل والتفكير واتباع العلم .

وتضمن أخباراً عن الغيب ، وتنبأ بحوادث تحققت على النحو الذي اخبر به .

وقد عاش محمد بن عبد الله بين قومه كما عاشوا ، وسعى كما سعوا ، وكانوا خلواً من العلوم والفنون لا يملكون معملا ولا جهازاً ، ولا مختبراً ، بل ولا

وعياً يستنبطون به القوانين كفلاسفة الاغريق ، وكان هو امياً، لا يقرأ ولا يكتب، كأكثر ابناء قومه وبيئته. اذن كيف امتـاز عنهم ؟ ومن اين جاءته هذه العلوم اذا لم يكن نبياً يوحى اليه ؟!

قال المعاندون فيما مضى : ان القرآن سحر ، بعد ان انقطعت جميع اعذارهم ، وانسدت عليهم المسالك والمذاهب ... فبماذا يتعللون اليوم ، والسحر في اذهان الناس حديث خرافة ؟!

اجل ، لقد تعللوا وقالوا: ان محمداً عظيم في اخلاقه، وعظيم في بلاغته ، وعظيم في مواهبه وجميع اعماله التي لا يسع احد الا اكبارها وتقديرها ، فهو عظيم ، وهذا القرآن مظهر من مظاهر تلك العظمة ، وبالتالي ، فهو من وحيه لا من وحي الله .

والجواب ليس من شك في ان الانسان قد يكون عظيما ولا يكون نبياً ولكن هل يمكن ان يكون عالماً دون ان يتعلم او دون ان توجد علوم بالمرة؟ واذا افترضنا ان محمداً قرأ قصة آدم وحواء، واخبار الماضين في كتاب قديم، او نقلها اليه ناقل، فاين درس التشريع والعلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية وغيرهـا مما حواه القرآن ؟! اذا افترضنا

ان محمداً ادرك بصفـــاء فطرته في ان القصاص حياة الناس، فهل ادرك بفطرته هذه الشريعة الانسانية الكاملة الشاملة للاحوال الشخصية والصناعية والتجارية والزراعية والجنائية والعسكرية والسياسية، وكل ما يحتاج اليه الفرد والمجتمع والدولة ؟! هل ادرك ربيب الصحراء هـــذه الشريعة التي تصلح بمبادئها واسسها لكل زمـان ومكان والتي وضعت مئات المجلدات لاحكامها واصولها وقواعدها وتأسس لدراستها ومعرفة اسرارها الكليات والجامعات ؟! وهل في التاريخ رجل واحد له هذه المكانة في عـــالم التشريع ؟!

ان الذي نعهده أن الشرائع الوضعية تضعها الهيئات لا الافراد، وانه يعرض عليها التقليم والتطعيم بمرور الزمن، لاخطاء تظهر بعد التطبيق والاختبـــار، وما عهدنا رجلاً واحداً استقل بوضع نظام كامل شامل، مهما بلغت مواهبه، واتسعت معارفه... اذن فالشريعة الاسلامية ليست من الانسان، بل من خالق الانسان ومبدعه، فهي اشبه بالتعـــاليم التي نجدها مع زجاجة الدواء وبعض الآلات ترشدنا الى كيفية الاستعمال، ووضع الشيء في مكانه خوفـــاً من الفساد والافساد،

انها من مخترع الآلة لا من غيره .

ثم هذه الحقـــائق الكونية والاسرار العلمية التي تضمنها القرآن ، كيف وصل اليها محمد - والمفروض انهـــا لا تعرف الا بمعونة المختبرات والادوات الفنية التي لم يكن لها من قبل عين ولا اثر ؟! هل تلقاهـــا من استاذ ، ومن يكون هذا الاستاذ ؟! او هي هاجسة من هواجس فكره وظناً من ظنونه ؟! والظن لا يغني عن الحقـــائق شيئاً . اذن هي من وحي الخالق الذي اوجدها واوجد كل شيء .

كنا قد ذكرنا في الكتـــاب الاول « الله والعقل » نمـاذج من تلك الاسرار التي اشارت اليها الآيات القرآنية ، ولم يكتشفها العلم الا بعد ثلاثة عشر قرناً ونصف القرن ، ونذكر هنا طرفاً آخر منها ، مع الاعتراف باننا لم نبلغ من العلم بها الا النقل عن علمـاء الغرب !

لقد عني المسلمون بالقرآن عناية كبرى شملت العديد من نواحيه ، أفاد منها الدين والعلم بشتى فروعه ، فلقد وضعوا خدمة لكتاب الله مئات المؤلفات في النحو والصرف والبلاغة والتجويد ومفردات اللغة ، والتفسير

والفقه- والاصول وعلم الكلام والاخلاق وغيرها .
وزخرت المكتبة العربية ، ومكتبات اخرى اجنبية بهذه الكتب ،وما زال المسلمون حتى يومنا هذا يواصلون هذا النشاط .

ولا نغالي اذا قلنا : انه لم يلاق كتاب من الكتب السماوية والارضية من العناية ما لاقاه القرآن على ايدي المسلمين . ولو انهم اهتموا بالناحية العلمية في القرآن ، كما اهتموا بغيرها لكنا الآن امام طائفة من النظريات الرائعة التي تسرع بالحياة نحو الحضارة والمدنية ، ولكانت الحقائق التي نسميها اليوم بالنظريات الحديثة من مخلفات الماضي البعيد .

لقد اهتم المسلمون كثيراً بالكشف عن كنوز الدين والشريعة والاخلاق والفلسفات ، وعن خصائص اللغة مما صرفهم او كاد عن الحقائق الكونية ، ولعل لهم العذر ، لان العلم يومذاك كان في دور التكوين او الانتقال ، على انهم اخرجوا للناس من ثمرات العلوم ما كان له اطيب الاثر في حياة الجمعية الانسانية وتطورها .

وعلى اي حال ، فلو تسنى للمسلمين ان يهتموا بالعلوم العملية ، كما اهتموا بالعلوم النظرية لكنا في

غنى عن البحث والتنقيب عن اقوال الغربيـين لنسوق الادلة المحسوسة على عظمة الكون وحكمة خالقه .
ونتعرض هنا لآيتين احدهما في علم الفلك ، والاخرى في علم الحيوان :

في علم الفلك

لاحظ الفلكيون خلال السنوات الاخيرة ان المريخ كوكب حي ، فيه مخلوقات تحس وتدرك . واذا وجدت الحيـاة في المريخ فمن الممكن ان توجـد في كواكب اخرى . وفي القرآن آيات تشير الى هذه الحقيقة ، منها الآية ٤٤ الاسراء : « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن » . والآية ٤٠ النور : « ألم تر ان الله يسبـح له من في السموات والارض » ولفظة من يعبر بهـــا عن العاقل المدرك .

في علم الحيوان

أثبت العلم ان الفيلة تعقد المحاكم للمخالفات التي تقع من بعضها ، وتصدر المحكمة حكمها على الفيل المذنب بالنفي عن الجمـــاعة ، ليعيش وحيداً في

عزلته .

وفي كتاب « الله والعلم الحديث » لعبد الرزاق نوفل ص ١٢٨ : « ان العالم رويال ديكنسون ، وهو عالم في التاريخ الطبيعي ، قال في كتابه شخصية الحشرات :

لقد درست مدينة النمل عشرين عاماً في بقاع مختلفة من العالم ، فوجدت ان كل شيء يحدث في هذه المدينة بدقة بالغة ، وتعاون عجيب ، ونظام لا يمكن ان نراه في مدن البشر . لقد راقبت النمل ، وهو يرعى ابقاره ، وهي خنافس صغيرة رباهـــا في جوف الارض زماناً طويلاً حتى فقدت في الظلام بصرها .

ولا احد يدري في اي عصر بدأ النمل حرفة الرعي ، وتسخير الابقار ، وكل ما نعلمه ان الانسان ان كان قد سخر نحواً من عشرين حيواناً لمنافعه ، فان النمل قد سخر مئات الاجناس من حيوانات ادنى منه جنساً فان بق النبات حشرة من الحشرات يعسر استئصالها ، وان اجناساً كثيرة من النمل ترعى تلك الحشرات ، ففي الربيع البـــاكر يرسل النمل ، الرسل ليجمع له

---

١ كتاب التعايش الديني في الاسلام لمحمود العزب ص ٤٩ .

بيض هذا البق،فاذا جيء به وضعه في المستعمرة موضع البيض ، ويعني هذا حتى يفقس وتخرج صغاره ، ومتى كبرت تدر سائلا حلواً يقوم على حلبه جماعة من النمل ، لا عمل لها الا حلب هذه الحشرات بمسها بقرونها ، وتنتج هذه الحشرة ٤٨ قطرة من العسل كل يوم ، أو بمقدار يزيد مئة ضعف عما تنتجه البقرة . بالنسبة إلى حجم الحشرة من حجم البقرة .

ولاحظ العالم المذكور ان النمل قد زرع مساحة بلغت خمسة عشر متراً مربعاً من الارض ، وان جماعة من النمل تقوم بحرثها على أحسن ما يقضي به علم الزراعة ، وحين ينبت الزرع تخرج معه أعشاب مضرة ، وتتجمع عليه الديدان . فتختص جماعة من النمل لازالة هذه الاعشاب والطفيليات ، واخرى لحراسة الزرع من الديدان . وهكذا رأى هذا العالم قرى النمل مزدحمة بالعمل والعمال . والتدبير والنظام ، والتعاون على الصالح العام » .

وإلى هذا الاحكام والابداع العجيب اشار القرآن الكريم في الآية ٣٨ الانعام : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا امم امثالكم » فسبحان

من أعطى كل نفس هداها وجعل من الذرة آيات لأولي الألباب !

لقد أمضى العلماء سنوات في الجامعات والمختبرات يدرسون ويتعلمون ، ثم قضوا أمداً طويلاً يبحثون ويلاحظون بمعونة أدواتهم الحديثة حتى اهتدوا الى شيء مما أشارت اليه الآية الكريمة . وما خفي عنهم من أسرار الكون التي أشار اليها القرآن يعدل أضعاف ما اكتشفوا حتى اليوم [1] وعلى هذا نكرر ما قدمناه من التساؤل : من اين أتت هذه المعلومات إلى محمد ؟!

ولنفترض أن علوم هذا العصر بجامعاتها وكتبها ومختبراتها وآلاتها كانت موجودة في عهد محمد فهل استطاع أن يحيط بكل العلوم ويتقنها جميعاً لا يعزب عن علمه منها كبيرة ولا صغيرة ؟! ان محمداً عظيم ما في ذلك ريب ولكن عظمته لا ترتفع به مافوق الانسانية . اذن فالنتيجة الحتمية لهذا الذي قدمناه

---

(١) لا بد من يوم تتكشف فيه هذه الاسرار بعد ان انطلقت العلوم والاقمار الاصطناعية من عقالها ، وفي ذلك اليوم الذي لا ريب فيه يقف كل انسان وجهاً لوجه امام عظمة المحرك الاول ، ولا يبقى على وجه الارض منكر ولا مشكك . ومن يعش يرى .

أن القرآن من وحي خالق الكون ومبدعه « قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

وسيقول المعاندون إن هذا إثبات للقرآن بإلزام العقل لا بطريق التجربة والمشاهدة اذ جعلتم إستحالة صدور القرآن عن محمد دليلاً على أنه من عند الله وهذه طريقة عقلية لا توصل إلى يقين ما دمنا لم نرَ الوحي بأعيننا ونسمعه بآذاننا .

ونجيب بأن إلزام العقل يؤدي إلى اليقين ، تماماً كالمشاهدة والتجربة ، فان علماء الفلك قد رأوا كوكباً « اورانوس » يتحرك حركات لم يستطيعوا تعليلها إلا بفرض وجود جرم سماوي آخر لم يكونوا قد رأوه بعد ، وأطلقوا على هذا الجرم السماوي المفروض اسم « نيبتون »[1] . وإذا دل هذا على شيء فانما يدل على أن للحواس حداً لا تستطيع أن تتجاوزه بحال ، كما فصلنا ذلك في كتاب « الله والعقل » .

---

(١) كتاب « قشور ولباب » للدكتور نجيب زكي محمود ص٢٤٨ .

وإذا أجزتم للعلماء أن يستدلوا بعقولهم على وجود كوكب ربما كان أكبر من الأرض بآلاف المرات، وأن يضعوا له أسماء فلماذا لا تجيزون أن نستدل نحن بعقولنا ؟!

* * *

وقد أفرد علماء الاسلام القدامى والمحدثون لاعجاز القرآن كتباً [1] لا يحيط بها الحساب، ولا يتسع المقام لنقل أقوالهم. ومن مضامينها :

إن العرب كانوا في عهد محمد أكثر الناس فصاحة وكلاماً، فدعاهم القرآن إلى أن يؤمنوا به أو يعارضوه ببضاعتهم التي يفاخرون بها، ويأتوا بسورة من مثله إن كان كاذباً، فحاولوا وتكلفوا، ولكن على غير جدوى، فهجاهم القرآن وقرعهم بالعجز والنقصان، وازداد لهم تحدياً، فلم يجدوا حيلة ولا وسيلة، أما سر عجزهم عن المعارضة فهو فصاحة اللفظ، وصدق المعنى، وسمو الهدف، وإيجاز دون إخلال،

---

(١) آخر كتاب قرأته عن القرآن كتاب « نظرات في القرآن» للشيخ محمد الغزالي . وفيه آيات بينات لقوم . يسمعون ويعقلون .

ومعارف إلهية ، وشريعة إنسانية ، وسلامة من التناقض، ومن الخرافات والأباطيل، كما له من الموسيقى وطراوة الأسلوب ما تجعله جديداً في كل زمن .

وفي كتاب الله وجوه أخرى للاعجاز لا تقل في عظمتها عن الأعجاز العلمي ، ولا نحتاج في تفهمها إلى العلوم والأدوات الفنية ، فيكفي أن نتجه اليها بأفكارنا لنشعر بروعتها ، ونؤمن بأنها من لدن حكيم عليم . من تلك الوجوه هذه الصور المتنوعة لحياة الناس وفئاتهم التي جلاها القرآن وأظهرها أمثالاً وأضداداً من حياة الفقراء الكادحين إلى الأغنياء المرابين. ومن الزهاد والعباد إلى الملحدين والمستهترين ، ومن المبذرين المسرفين إلى الأشحاء والمقترين ، ومن العملاء الخائنين الى المخلصين المجاهدين .. الخ ولو أردنا تعداد هذه الصورة وشرحها لطال بنا المقام ، وحسبنا أن نتدبر الآيات التالية :

فقد جاء في الآية ١ من سورة الممتحنة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » . اقرا هذه الآية لترى فيها صورة أولئك العملاء الذين

اتخذوا من أعداء الله والوطن أولياء وأصدقاء يلقون اليهم بالمودة والاخلاص ، ويمهدون لهم سبيل البغي والعدوان على أمتهم ووطنهم ، وهم يعلمون أنهم لا يدينون دين الحق ، ولا يحرمون ما حرم الله .

وجاء في الآية ٨ من سورة الحج : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » . وأي عالم لم يمر بهذه التجربة ويخاصمه المكابرين بغير دليل من البديهة والتجربة ، ولا من منطق العقل ، ولا من وحي منزل . وقد ارشدتنـــا الآية ٦٨ من سورة الحج نفسها انه لا عـــلاج لهذا المرض الا السكوت والاعراض : « وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » . لأنـه لا دواء للمرء والاستمساك بالجهل الا التجاهل واللامبالاة وهل يقهر الجاهل بالحجة والعلم ؟ ! وصدق من قـال : « ما حاججت جاهلاً الا حجني » ان الجـــاهل يدافع عما قال لا لأنه صواب ، بل لأنه قاله وكفى .

اما العلماء فيدركون ان آراءهم ليست هي الواقع بعينه ، بل صورة عنه تخطيء وتصيب . لذا قال بعض العلماء : « لقد حرمت على نفسي أن استعمل قولاً

يدل على رأي قاطع مثل : قطعاً . وبلا شك . وعلى التحقيق . وصرت استعمل بدلاً من ذاك : أحسب ، وأظن ، ويبدو لي ، وقد أكون مخطئاً ، ومـا الى ذاك » [1] .

وهذه سبيل من يشعر من نفسه أنه عرضة للخطأ والسهو . ومن الناس من لا حجة له إلا السيف والنطع ، كالذي خطب بين يدي معاوية حين طلب من الناس أن يبايعوا ولده يزيد . قال الخطيب : « إن مات هذا فهذا ، ومن أبى فهذا ». وأراد فرعون مصر أن يقتل نبي الله موسى ، لا لشيء إلا لانه قال له : « الله ربي لا انت » .

---

(١) من الخير أن ننقل قاعدة قرأناها في علم الاصول وهي :اذا تعارض دليلان في موضوع واحد ، ينظر فان تساويا في القوة من جميع الجهات أسقط كل واحد منهما الآخر ، وتكون النتيجة وكأنه لا دليل يصلح لاثبات أو نفي ، وإذا كان أحدهما أقوى من الآخر اسقط القوي الضعيف ، وبقي وحده حجة بلا معارض. وهذا المبدأ يعمل به كل من طلب الحق لوجه الحق ،وأنصف من نفسه كما انتصف منها . أما من يجادل ليري الناس ان مرجع القول اليه وحده دون سواه فلا بد أن يجره هذا القصد إلى الضعف والتعنت والقول بغير علم ، وان درس العلوم وألف المجلدات .

ونقتطف من أقوال الغربيين في القرآن الكلمات التالية :

قال المستشرق سيل : « إن أسلوب القرآن جميل وفياض ، ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين ، فيجذبهم إلى تلاوته ، سواء في ذلك الذين آمنوا به أم لم يؤمنوا به وعارضوه » .

وقال هرشفلد : ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه ، واليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الاسلامي » .

وقال استنجاس هوز : « يمكننا أن نقول بكل قوة إن القرآن أعظم ما كتب في تاريخ البشر ... ومن هنا لا يصح أن نقيس القرآن بأي كتاب اخر .. لقد نفذ إلى قلوب سامعيه بكل قوة وإقناع ، واجتث من ثناياها كل ما كان متأصلاً فيها من وحشية وانتزع كل همجية مما أوجد ببلاغته وبساطته أمة متمدنة من امة متوحشة متبربرة » .

وقال غوته الشاعر الالماني الكبير : « إن القرآن سيحافظ على تأثيره إلى الابد ، لان تعاليمه عملية » .

وقال جاستون : « إحتوى القرآن على اسس تستند اليها حضارة العالم » .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية : « أن محمـد إجتهد في الله وفي نجاة أمته وبالاصح إجتهد في سبيل الانسانية جمعاء »[1]

---

(١) عن كتاب « التعايش الديني في الاسلام » لمحمود العزب موسى .

محمد في بعض خصائصه

جاء في كتب السير : أن الله خصص محمدا (ص) بفضائل لم تكن لنبي قبله ، ولن تكون لانسان بعده . وسرد بعض الرواة هـذه الخصائص ، فبلغت مئة وخمسين ، وسواء أصح هذا القول أم كان مبالغاً فيه فان محمداً عاش كما عاش سائر النبيين وعامة الناس في عهده ، لم يدخل مدرسة ، أو يجلس إلى فيلسوف ، وأدى الرسالة كما أداها الانبياء من قبل ، واحتمل في سبيلها ألواناً من الجهد والمشقة كما احتملوا وصبر كما صبروا .

ولكن إذا رجعنا إلى آثار النبيين الموجودة بين أيدينا وجدنا الفرق كبيراً بين محمد وغيره من الانبياء :

١ – لمحمد شريعة ثابتة الاصول كاملة الاركان تشمل أحكامها شؤون الحياة بشتى فروعها ونواحيها ، وقد اعترف البعيد قبل القريب بأنها تستجيب لتطور

الحياة ، وتسمو بالفرد والجماعة إلى الافضل والاكمل .

٢ - نزل على محمد كتاب من الله سبحانه تحدى كل جيل مضى منذ نزوله ، ويتحدى كل جيل يأتي بأسلوبه وبيانه ، وبما يحويه من المعاني والحقائق ، فهو كتاب الدهر الذي يعرّف الناس بحقيقتهم ومصيرهم ، وبأسرار الكون وعظمته .

٣ دين محمد للناس كافة ، وليس لشعب دون شعب ، كدين بني اسرائيل الذين يعبدون رباً يمنحهم القوة والغلبة على الناس أجمعين ، ويشرع لهم من الأحكام ما يستحلون بها الدماء والأموال ، كما أنه لم يزهد الناس في هذه الحياة ، ويبنِ لهم قصوراً في الجنة ، ويوزع الثواب على أهل القبور فقط ، لم يجعل من الشيطان وقيصر شريكين لله، فيعطيه الآخرة، لأنها طهر ، ويعطيهما الدنيا لأنها رجس ، « بل الأمر لله جميعاً ... له ملك السموات والأرض » ، ولا شيء للشيطان وقيصر ، ولا للشركات والحكام . وما كان لله فهو للناس ، ولذا خاطبهم بقوله : « يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالاً طيباً . لا تحرموا طيبات ما أحل الله . هو الذي جعل لكم الارض

ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه »

٤ – لا نعرف أحداً من الأنبياء وغيرهم ، دعا الى العلم ورغّب فيه ورفع من شأنه وحث أتباعه عليه كما دعا اليه محمد ، فمن أقواله :

« ليس مني إلا عالم أو متعلم » . لأن المتدين بدون علم لا حصانة له ، فقد يستجيب إلى غرور الشيطان ، وباطله المموه ، وقال : « من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حقه » . أي أن العلم لا نهاية له ، ويدل هذا القول على بعد في النظر لا يدرك مداه . وقال : « ليس الحسد من خلق المؤمن إلا في طلب العلم .. مجالسة العلماء عبادة .. عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد » . وقوله الحسد في طلب العلم من خلق المؤمن دعوة صريحة للتنافس والمباراة على صعيد الحاجات الثقافية ويشير بقوله ينتفع بعلمه الى العلوم العملية التي تثمر ثمراً محسوساً ملموساً . أما « العلوم » التي لا تتجاوز الكلام فهي نافلة وفضول . روي ان النبي دخل المسجد ، فاذا جماعة قد أحاطوا

برجل . فقال ما هذا ؟ قيل علامة . قال وما العلامة ؟ قيل اعلم النـاس بانساب العرب . قال : ذا علم لا ينفع من علمه ، ولا يضر من جهله .

اما قوله : « اطلب العلم ولو في الصين ... الحكمة ضالة المؤمن يأخذها انّىٰ وجدها » وفي رواية ثانية . خذ الحكمة ، ولا يضرك من اي وعـاء خرجت . وفي ثالثة : خذ الحكمة ، ولو من مشرك . اما قوله هذا فدليل واضح على ان العلم لا يجنس بدين ولا بلغة او وطن ، وان على طالبه ان يسعى وراءه انّىٰ يكون بصرف النظر عن دين صاحبه وبلده واخلاقه . وبعد فهل يدرك هذه الحقائق ، ويدعو اليهـــا رجل امي عاش في الجاهلية الجهلاء اذا لم يكن نبياً ؟! لقد طار العلم الى القمر وتجاوزه الى الشمس ، وما زال جمهرة من النـــاس يتنكرون لهذه الحقائق ، وينصبون العداوة والبغضاء لمن يجهر بها .

لقد فتح محمد النوافذ للعرب والمسلمين على علوم العالم كلها والافكار كلها بغير قيد وشرط ، لأنه ، يعلم علم اليقين ان العلوم هي الاساس الاول للنجاح ، والأداة الفعالة للتطور ، وقد وجـدت دعوته الى العلم

صداها بين اتباعه ، وبفضلهـا انتهت اليهم « زعامة العلم كله » كما قال « دربير » المدرس باحدى جامعات الولايات المتحدة .

ولو اخلص المسلمون لتعاليم نبيهم ، واستمروا على الخطة التي رسمها لدامت لهم الزعـامة العلمية الى الأبد ، ولوزعوا الفنيين والخبراء على اهل الشرق والغرب ، ولما استجدوا المساعـدات والمعونات من هنا وهناك ، لو جاهد المسلمون في الله ، وابتعدوا عن اعدائه واعدائهم ولم يتخذوا منهم بطانة واولياء ، لو تناهوا عن المنكر والشقـاق كما امرهم الله ورسوله لما كان للاستعمار والصهيونية في بـلادهم عين ولا اثر . ولو عملوا بقول الرسول الأعظم : « لا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون » لمـا سمع العالم بلفظ الاشتراكية واحزابها واقطابها .

ان النصوص والقوانين تظل جـامدة واموراً شكلية حتى تطبق عملياً وتتحول الى وقائع ولولا ان تجد الاشتراكية امة تناصرها وتمارسها لكانت مجرد كلمات نقرأها كما نقرأ جمهورية افلاطون ، ومدينة الفارابي . ان النصوص اشبه بمخطط لعمارة لا يظهر

أثره إلا بعد البناء والانتهاء من العمل . قال الرسول الأعظم :

« الاسلام أحوج إلى الجماعـــة من الجماعة إلى الاسلام » . يشير بهذا إلى أن أية فكرة لا تعتمد على جماعة من الناس تؤمن بها وتدافع عنها محكوم عليها بالفشل ، وهذه النظرية من أحدث النظريات التي اكتشفت في عصرنا هذا وكم في تعاليم محمد من أفكار لو كشف عنها الغطاء ، وقورنت بالأفكار يومذاك ، لتبين أنهـــا سبقت عصرها بآلاف السنين .

يقول علماء التربية : إن الانسان نتيجة لعوامل كثيرة ، منها الزمان والمكان ، وتقاليد من يعاشر ، بل منها غذاؤه وكساؤه ، والهواء الذي يستنشق ، والصوت الذي يسمع ، والضوء الذي يرى ، وما إلى ذاك ، ولذا إذا أرادوا معرفة شخص على حقيقته درسوا مهنته وبيئته والظروف المحيطة به .

ومحمد كان غريباً عن قومه في أخلاقه وأفكاره .

كانوا يعبدون الأوثان ، وكان أبغض الناس لها [1]
وكانوا يظلمون ويكذبون ، ولا يتورعون عن المنكرات
والفواحش ، وكان أشد الناس نفرة من الظلم والكذب
والمنكر والفحشاء ، ومن كل ما يشين حتى أسموه
الصادق الأمين . وكانوا يعيشون في عزلة عن الأمم
وأفكارها وعلومها ، حتى تغلبت عليهم البداوة
بأجمع معانيها ، وكان هو معدن العلوم ومصدرها
وإذا كان فكر الانسان لا يتجاوز حدود المعارف في
عصره مهما سمت مواهبه وعبقريته ، فمن أين هذه
العلوم في القرآن والحديث ؟!

ربما يوجد فرد أو أفراد يمتازون عن بيئتهم بالوعي
والادراك ، فينفرون - مثلاً - من الرق والعبودية ،
ويحبون لغيرهم ما يحبون لأنفسهم ، وربما يوجد من
العباد والزهاد من يخالف قومه في التقاليد والعادات ،

---

(١) قبل ان يبلغ محمد مبلغ الرجال ، قال له البعض ، يا غلام
أسألك بحق اللات والعزى الا اخبرتني عما اسألك . فقال له محمد :
لا تسألني باللات والعزى : فوالله ما بغضت شيئاً بغضهما . وكان بينه
وبين رجل اختلاف في شيء ، فقال له الرجل : احلف باللات
والعزى فقال له : ما حلفت بهما قط ، واني أعرض عنهما .

فيعتزل عنهم في صومعة لا يبرحها مدى الحيـــاة ، يصلي فيها ويصوم ، ولا يعرف عن شؤون الناس كثيراً ولا قليلاً . امــا ان يعيش رجل في بيئة ابعد ما تكون عن الحضارة والمدنية ، ثم يـدرك اسس العلوم ، وأصول التشريع ، وأسرار الحكمة ، ولا يشتبه عليه الحق مهما خفي ، ويجمـع بين القلوب المتنافرة ، ويوجد امة من العدم تقود الامم ، وتحدث في العالم العجب العجاب ، اما هذا فلا يبلغ هذه المنزلة إلا اذا نطق بكلمات الله وعلمه وحكمته .

محمد خاتم النبيين

جاء في الآية ٤٠ من سورة الأحزاب : « ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً » .

ونتساءل : لماذا ختمت النبوة بمحمد ؟! وما هو السبب لهذا الاحتكار والاستئثار ؟! واذا حكم العقل بضرورة البعثة للناس كافة ، وحاجتهم الماسة اليها ، كما سبق ، فان حكمه هذا لا يختص بزمان دون زمان وجيل دون جيل . .

والجواب ان مهمة النبي هداية الناس للتي هي أقوم ، وإرشادهم بأن لهم خالقاً عظيماً ، من حقه ان يُعبد ويُطاع ، وانهم مبعوثون ومسؤولون ، وان يبلغهم مايحتاجون اليه من القوانين في معاشهم ومعاملاتهم وسائر افعالهم ، وان يلقي الحجة عليهم بالتبليغ « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة

بعد الرسل – ١٦٤ » .

وهذا القرآن فيه بلاغ من الله ونصائح للنـــاس ، وتبيان كل شيء . « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء – النحل ٨٩ » وما دام القرآن قائماً وخالداً ولم تنله يد التحريف والتقليم والتطعيم فبأي شيء يأتي النبي الجديد ؟! فان جاء بما يوافق لم يكن اليه حاجة ، او بما يخالف وجب رده وتكذيبه ، لان القرآن تام كامل ، وكل ما فيه من العقائد والمعـارف والاخلاق والاحكام حق وصدق ، فدين محمد وشريعته وتعاليمه قد بلغت الغاية والكمال ، والزيادة على التمام نقصان ، كالاصبع السادسة في الكف .

ثم نسأل من يستكثر على محمد ان يختم به النبوة ، وعلى الاسلام ان تنتهي به الاديان : هل من امة اتخذت الاسلام ديناً ، وطبقت تعـــاليمه ، كما يجب فعاقها عن التقدم والنهوض في سبيل الحياة ؟!

وعلى الرغم من ان اطفـــال المدارس يعلمون ان الدنيا بكاملها والاجيال القديمة والحديثة قد استفادت من الاسلام حتى الذين لم يعتنقوه ويؤمنوا به ، لانه نور ، والنور يضيء طريق السالكين مهما كان لونهم ،

والشمس تشرق على المؤمنين والجاحدين سواء بسواء ، على الرغم من ذلك فاننا ندع الجواب لغيرنا ، لغير المسلمين من كبار الادباء والفلاسفة والعلماء ، قال غوته الالماني الذي اعترفت اوروبا بزعامته الادبية : « ان محمداً رجل خارق للعادة ، وانه نبي ليس بشاعر [1] » وقال هـ . ج . ويلز الانكليزي الشهير في كتابه « موجز تاريخ العالم » عند كلامه عن العرب « كان المسلم يثب على قدميه وثباً في كل موضع حل فيه الفاتح العربي ».

وقال نهرو رئيس وزراء الهند في كتابه « لمحات من تاريخ العالم » : كان محمد واثقاً بنفسه ورسالته . وقد هيأ بهذه الثقة ، وهذا الايمان لامته اسباب القوة والعزة والمنعة ، وحولها من سكان صحراء الى سادة يفتتحون نصف العالم المعروف في زمانهم ، كانت ثقة العرب وايمانهم عظيمين . وقد اضاف الاسلام اليهما رسالة الأخوة والمساواة والعدل . . وثب الشعب العربي

---

[1] كتاب « التعايش الديني في الاسلام » محمود العزب ص ١١٣ .

بنشاط فائق ادهش العـــالم وقلبه رأساً على عقب ،
وان قصة انتشار العرب في آسيا واوروبا وافريقيــــا
والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدموها للعالم
هي اعجوبة من اعجوبات التاريخ . . . لقد امتـــازوا
بالروح العلمية الاستطلاعية مما يجعلهم يدعون بجدارة
آباء العلم الحديث » .

وكل كلام بعد هــــذا نافلة وفضول سوى هذه
الجمـــلة ، وهي ان اهتمام العرب بالعلم منبثق من
اصل العقيدة الاسـلامية التي رفعت العلم الى اسمى
المراتب .

وقال كاتب من كتاب هذا العصر : « ان الانبياء
كانوا مجددين حقــاً ، لانهم ثاروا على القديم غير ان
اتباعهم المتمرسين على فهم الدين ونشر تعاليمه رجعيون ،
لانهم حـــافظوا على ذلك القديم من مرور الزمن ،
وبهذا استحال الدين من انبيــائه التقدميين الى رجاله
الرجعيين ، لأن الفكرة التي تكون جديدة بالقيـــاس
الى عهدها تصبح قديمة بالنسبة الى ما بعدها .

والجواب أن رجال الدين تقدميون ايضا اذا ساروا
بسيرة انبيائهم وقاموا على سنتهم ، ولم يتخذوا من

دينهم اداة للكسب ، ويستغلوا عواطف الناس الدينية لصالح الحكام والشركات والاقطاعيين . لقد جـــاء الانبياء بالحق ، وأقروا من حيث المبدأ كل جديد مفيد كان ويكون ، والحق لا يقاس بمقـاييس العصور والاجيال ، فهو كالنور والمـــاء والهواء جديد ابداً ودائماً ، فمن آمن به وعمـــل له فهو مجدد وتقدمي دينياً كان او زمنياً، ومن عانده فهو رجعي خرافي كائناً من كان . ان الرجعية ليست وقفاً على رجال الدين ، ولا التقدمية منحصرة بغيرهم ، واذا كان لبعض رجـال الدين من ذنب فهو الجهل بروحه وحقيقته ، او التضليل والتلبيس على الابرياء لمآرب يأباها الدين والانسانية .

ومرة ثانية الى النبي الجديد .

لقد أقر الاسلام مبدأ التوحيد والعدل في العقيدة . ونزه الخالق عن كل ما يشين ، واثبت له جميع المعاني التي تعبر عنهـا الاسماء الحسنى من القدرة والحكمة والعلم والغنى والحب والرحمة والجود والمغفرة والعزة والكرامة ، وما الى ذاك من صفات التقديس والتعظيم التي يجيز العقل ان نصف بهـا الذات الالهية ، كما

نزه الانبياء عن الجهل والخطأ والشهوات ، وأثبت لهم جميع صفات الجلال والكمال التي يمكن لبشر منقذ ان يتحلى بها .

وركز الاسلام شريعته وحلاله وحرامه على قانون الطبيعة ومبدأ العدالة ، فكل ما فيه الخير والصلاح للناس بجهة من الجهات فهو حلال ومحبوب ، وكل ما فيه الشر والفساد بجهة من الجهات فهو حرام ومكروه.

واقر الاسلام مبدأ الاخوة والمساواة في المجتمع ، وحث على التعايش السلمي [1] وحل المنازعات والخصومات بالحكمة والموعظة الحسنة : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم – ال عمران ٦٣ » ، اي تعالوا الى العدل والمودة لا الى المؤامرات والدسائس والضغائن والى الثقة والتبادل الثقافي والاقتصادي لا الى السلب والنهب ، والى الامن والامان لا الى الاحلاف العسكرية والاستعدادات الحربية .

واقر الاسلام مبدأ الفضيلة في الاخلاق ، فنهى

---

١ اقرأ كتاب « التعايش الديني في الاسلام » لمحمود العزب .

عن الكذب والرياء والقسوة والجفاء والزنى والخيانة وجميع المظالم والفواحش ما ظهر منها وما بطن .
وسلام على من قال : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .
واذا كان دين محمد هو دين الفطرة والانسانية ، فماذا يبقى للنبي او المتنبي الجديد ؟! اللهم الا ان يغير فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فيأمر بالحروب والاستغلال والسرقة والخيانة والكذب والزنى والقمار والخلاعة ، وينهى عن السلام والحرية والامانة والصدق والعفة ! !

تنبيه

قلنا في كتاب « الله والعقل » سنتعرض لكتاب « الدين والضمير » مفصلاً في كتاب « النبوة والعقل » . وحيث لم تتسع هذه الصفحات لملاحظاتنا على الكتاب المذكور لانها بلغت ما يقرب من عشرين صفحة فقد أرجأناها الى فرصة ثانية ، ولعلها تسنح في الكتاب الثالث او الرابع . ومن الله سبحانه نستمد الهداية والتوفيق .